**نظريات المدخل الراديكالي في تفسير الظواهر السكانية 1**

1. **كارل ماركس**

كان (ماركس) مفكراً اجتماعياً ألمانياً، ورغم أنَّه لم يفرد لموضوع السكان مؤلفاً خاصاً فإنَّه عرض لبعض الآراء النظرية المتعلقة بالسكان ضمن مؤلفه المعنون (رأس المال) وفيما يلي أهم هذه الآراء:

1- يسلم ماركس بأنَّ المجتمع يمر بمراحل متباينة في تغيره، استناداً إلى تغير الإنتاج والنظام الاقتصادي.

2- ويفترض أنَّ تزايد السكان يرتبط بمعدل التشغيل في النظام الاقتصادي.

3- ووجد ما يدعم افتراضه هذا بناءً على دراسته لنظام الإنتاج الرأسمالي، حيث لاحظ وجود فائض في السكان نتيجة لمعدل التشغيل المتناقص واختصار النفقات وتراكم رأس المال. أو بعبارة أخرى يؤدي تراكم رأس المال في صورة سلع إنتاجية إلى نقص الحاجة إلى العمال ما يجعل وجودهم في الإنتاج زائداً عن الحاجة نسبياً فيتحولون إلى فائض سكاني.

4- ويتوقع ماركس بناءً على هذه الحقائق عدم وجود فائض في السكان مع وجود نظام الإنتاج الاشتراكي نتيجة للتشغيل الكامل والمتوازن بين الزيادة في رأس المال والعمال، بحيث لا يجود فائض سكاني ويقل الفقر والبؤس.

5- ويصل ماركس من تحليلاته إلى القول: بأنَّه ليس هناك قانون عام ثابت للسكان وإنما لكل مرحلة من مراحل تطور المجتمع والإنتاج قانون خاص بها ينطبق عليها وحدها. ووجود قانون واحد للسكان لا يتحقق إلاَّ في حالات النبات والحيوان، ويشترط ألاَّ يتدخل الإنسان في تكاثرها.

6- تتلاشى مشكلة زيادة السكان مع تطور المجتمع ووصوله إلى مرحلة الإنتاج الاشتراكي. وهذا معناه أنَّ الفقر والبؤس بوصفهما مرتبطان بمشكلة زيادة السكان لا يدينان بوجودهما إلى عامل بيولوجي يزيد أو ينقص قدرة الإنسان على الخلف والإنسال أو غيرها من العوامل الطبيعية وإنما يرجع إلى النظام الاقتصادي الذي يعجز عن تشغيل أفراد المجتمع تشغيلاً كاملاً.

**أوجه النقد لنظرية ماركس:**

* يؤخذ على ماركس تحيزه للطبقة العاملة ما أثر في قضاياه النظرية ونتائج تحليلاته.
* تصور ماركس أنَّ النظام الاشتراكي يقل فيه ضغط السكان على الموارد وتحل فيه مشكلات تزايد السكان. ولكن نمو السكان من ناحية أخرى محكوم بعوامل أخرى منها الحرية الشخصية فيما يتعلق بالزواج والخلف، وهي عوامل لا يمكن إنكار أثرها في تجاوز الحدود والضغوط على موارد المجتمع.

**2- ريابو شكين**

علاّمة روسي ينطلق من القضايا نفسها التي انطلق منها ماركس، إلاّ أنه يقدم قضايا افتراضية وتفسيرية تختلف في مضمونها عن قضايا ماركس، ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

أ- يذهب ريابوشكين إلى أنَّ زيادة السكان تتوقف على طبيعة النظام الاقتصادي السائد في المجتمع.

ب- في النظام الرأسمالي هناك فائض في السكان نتيجة لطبيعته الاستغلالية والمتعارضة بين القائمين على شؤون الإنتاج الاقتصادي والعمال.

ج- ووجد "ريابو شكين" أنه مقابل ذلك وفي ظل نظام الإنتاج الاشتراكي فليس هناك فائض في السكان نتيجة للطبيعة المتوازنة في الأهداف والوسائل أيضاً بين القائمين على شئونه. ذلك لأن الهدف الرئيسي من الإنتاج هنا هو إشباع الرغبات وليس تحقيق الربح لفئة قليلة. أما الوسائل التي يستعان بها فتتمثل في الاستفادة من كافة الموارد المتاحة وخاصة العمل الذي يعتبر المصدر الرئيس للثروة، واستخدام كافة الطاقات بما في ذلك الطاقة الذرية.

**ملاحظات على آراء ريابو شكين:**

* تعد مقالته ترديدا لآراء (ماركس) الذي صب جام غضبه على (مالتس) واتهمه بالرجعية والتفاهة وكذلك امتدادا لآراء (انجلز)، الذي ذهب إلى أنَّ البرجوزاي يخالف المستقبل، بينما يدرك العامل أنَّ الخلية التي ينتمي إليها سوف تنتصر حتماً في الكفاح الطبقي، ومن ثم يحدوه الأمل في المستقبل المشرق بعد التخلص من ربقة الرأسمالية. ومع ذلك فإنَّ "انجلز" كان لا يستبعد أنْ يكون لتحديد النسل مكان في المجتمع الاشتراكي المنتصر بحيث يسمح للأفراد بتحديد حجم الأسرة بعد انتفاء الاستغلال.
* إذا كانت آراء ماركس (وريابو شكين) تعطي لنا أمثلة بارزة على الفكر الماركسي في موضوع السكان، إلاّ أنه من الممكن القطع بأنه فكر جامد لا يقبل التغيير أو التعديل على ضوء الظروف المتغيرة.
* ينطوي الفكر الماركسي المعاصر في موضوع السكان على وجهات نظر متباينة. إذ يؤيد "توريز" زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي بقوة قوانين مكافحة الإجهاض وناشد الأطباء الشيوعيين عدم الانسياق وراء رغبة الناس في تحديد النسل واتهم دعاته بأنهم فاشيون يكرهون الإنسانية. غير أنَّ هذا الموقف الذي يزيد من تشدده عن موقف غلاة الكاثوليكية لم يسلم من النقد. فقد نشر "جاك دروجي" عضو الحزب الشيوعي الفرنسي أيضاً بحثاً عنوانه "أطفال بالرغم منا" طالب فيه بإلغاء التشريعات القاسية التي صدرت في فرنسا عام 1930، والتي تنص على الحد من الإجهاض وعدم تحديد النسل. كما يلاحظ الاختلاف في وجهات النظر في موضوع السكان بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي. إذ لا يعارض بعض فلاسفة الحزب الشيوعي في الصين تنظيم الأسرة عن طريق الزواج المتأخر وزيادة الفترة التي تنقضي بين جيل وآخر حرصاً على صحة الأم والطفل ورفاهية الأسرة، وحتى لا يؤدي الإفراط في النسل إلى إرهاق الوالدين وإضعاف قوتهم في العمل والإنتاج إلى فتور ولاء الكثرة إلى نظام الحكم الجديد.